الفلسفة فى شعر شوقى

للدكتور منصور فهمى

استاذ الفلسفة فى الجامعة المصرية

حرصت الفلسفة فى مختلف ادوارها ونواحيها على ذلك المعنى السامى الذى أسماه شوقى « عبقرية الطبيعة » واراد به الجمال . وقد تغلغل هـذا المعنى فى شعره منذ تغنى به الى ان نزل بشاعرنا القضاء المحتوم .

فمنذ القديم عنيت الفلسفة بجمال الأفكار ونسقها، وعنيت بجمال العمل وخيريّته ، وعنيت بتذوق الجمال فى الوجود الظاهر ، وعنيت بدقائق الحركة النفسية ورشاقة النفس فى تجمعها وتركزها وامتدادها وانبساطها لتتصل بعالمى الباطن والظاهر ، ولتشرف تارة على روعة الغيب وتارة أخرى على جمال النواميس .

ومنذ القديم حرصت الفلسفة على ان تلم باشتات العلم ، وان تتلمس مختلف المعارف لتردّ ذلك المجموع الى اصول تحصر وكليات تمتلك . وقد يكون فى ذلك الحرص دليل على ان الافهام تتطلع الى تخليص معانى الوحدة المضيئة من غيوم الكثرة المتلبدة .

ولقد كان شوقى حريصاً على أن يجمع فى شعره الحكيم الكليات السامية التى كانت تخلص له من جزئيات العلم ، وتحقيقات التاريخ ، وعبر الحياة الاجتماعية ودقائق حوال النفس. فكان يقول: «ان الشعر ابن ابوين ـ التاريخ والطبيعة» وكان يقول:

والشعرُ ما لم يكن ذكرى وعاطفةً أو حكمةً فهو تقطيعٌ واوزانُ

وعلى اساس النزعة الفلسفية من التوجُّـه الى الكليات ، وعلى هـذا النحو من تحديده الشعر ، بث شوقى فى تشبيهه ، ووصفه ، واجتماعياته ، وزهادته ، وتدينه ، وتأثره ، كلّ الأصول التى تتكشف عن الجمال فى روعته ، والحكمة فى سلطانها ، والفلسفة فى روحها ، — والشواهد على ذلك كثيرة .

* * *

ومنذ القديم راضت الفلسفة اهلها على عادات من التواضع العلمى له اساليبه حتى ان الجزم والقطع اكره الى اكثرهم من التردد والحيرة ، وبخاصة اذا استطالت اذهانهم الى اعقد المسائل : كالنفس ، والموت ، والحياة ، والحقيقة ، والحكم على قيم الأمور .

الدكتور منصور فهمى

وقد يبدو ذلك التواضع العلمى ويلوح ذلك التحير العقلى فى شعر شوقى عن هذه المسائل فيقدر مشاق البحث ويعلن العجز عن الوصول الى ادراك تلك الاسرار . ويظهر ذلك فى مخاطبته للنفس إذ يقول :

ضُمّى قناعك يا سعادُ او ارفعى هذى المحاسن ما خُلقن لبرقع
الضاحيات الضاحكات ودونها ستر الجلال وبُعدُ شأوِ المطلع

* * *

ذهب « ابن سينا » لم يفز بك ساعة وتولت الحكماء لم تتمتع
هذا مقام كل عز دونه شمس النهار بمثله لم تطمع
ما بال « احمد » عىّ عنك بيانه بل ما « لعيسى » لم يقل او يدّعِ

واذا مست عبقريته مسألة الموت تمتحض الحيرة شعره وترضعه روعة ووداعة وتسليماً فيقول :

فى الموت ما أعيا وفى اسبابه كلُّ امرىء رهن بطى كتابه

وكذلك يقول :

يا صاحب العصر الخالى ألا خبرٌ عن عالم الموت يرويه الألبّاء ؟
أمّا الحياة فأمر قد وصفت لنا فهل لما بعد تمثيل وإدناء ؟
بمن أماتك قل لى : كيف جمجمة غبراء فى ظلمات الارض جوفاء ؟

وعند ما يتحدث عن سر الحياة فيما تقرأ له من نثر أو شعر تتحدث معه الحيرة الفلسفية فى قلق وصفاء فيقول فى الحياة : « قل لمن اطال التفكير ، وبالغ فى النكير ، وكدّ باله ، ومدّ بلباله ، واحترق احتراق الذبالة :

خلِّ اهتمامك ناحيةً وخذ الحياة كما هيَهْ ! »

كذلك يقول : « الحق ان افتئات الفلسفة على ضنائن الله سفه . وان علم الحياة عند الذى يهبها ويستردها ، والذى يقصرها ويمدها ، والذى يخلقها ويستجدّها ، والذى كل حى سواه يموت ، وكل شىء ما خلاه يفوت » .

ويقول عند ما يفكر فى كنه الحقيقة : « أتينا العناصر من عنصرها ، وردد الجواهر الى جوهرها . اطرحنا فاسترحنا ، وسلمنا فسلمنا ، وآمنا فأمنا . وما الفرق بيننا وبينك الا انك قد عجزت فقلت : سر من الاسرار ، وعجزنا نحن فقلنا : الله وراء كل ستار ! »

واذا نظر شوقى الى مسافة تقدير القيم وهى من اهم مسائل الفلسفة الحديثة يبدو تحيره فيما تواضع الناس على رفع قيمته حتى أن عواطفه وتفكيره قد تشككه احياناً فى قيمة العلم ومظاهره فيقول :

فأفٍّ على العلم الذى تدّعونه اذا كان فى علم النفوس رداها !

ويقول : « لو طلب الى الناس ان يحذفوا اللهو وفضول القول من كلامهم لكاد السكوت فى مجالسهم يحل محل الكلام ! ولو طلب اليهم ان ينقوا مكاتبهم من تافه الكتب وعقيمها ، وألاّ يدخروا فيها الا القيم العبقرى من الاسفار ، لما بقى لهم من كل ألف رق الا رق ! »

على ان لا هل الفلسفة اكثر من اسلوب فى استعراض مسائل الكون والحياة وفهمها : فمنهم من يستخدم عقله الخالص فى شدته وعنفوانه لينظر الى الامور من جهة الواقع المستقل عن العقل ووجوده . ومنهم من يستخدم قوى نفسه جميعاً بما تشمله نفسه من حدة الحساسية ودقة التفكير ولطف الوجدان لينظر الى الامور نظرة تنطبع عليها مسحته النفسية ويربط بين ادراك الامور وبين حدة حساسيته ولطف وجدانه . وقد يبدو للناظر ان هذا الصنف من النظر موضع للتناقض ، ولكن لو أنصف الناظر لرأى ان للعقل الخالص الجبار اسلوبه الخاص العالج ، وللنفس الحساسة اسلوبها المميز الكريم : فمنطق العقل الخالص يتحاشى التناقض ومظاهره ، وأما منطق النفس والعاطفة فيسير مترنحاً طروباً ويبدو مضطرباً ولكنه بالرغم من مظاهر الاضطراب فنصيبه التوفيق والصواب . وفلاسفة هذا الاسلوب الثانى انما يدركون الحياة وآثارها النفسية فى صورها المتغيرة بتغير شؤونها وثقافاتها وحضاراتها .

وكان شوقى كهؤلاء الفلاسفة يحسّ بجمال الوجود والحياة المنبث فى نواحى متقابلة فيخيل للرائى أن ثم تناقضاً حيث لا تناقض .

فقد تسمعه يترنم بنغمة المسالم المستسلم الذى يدع الامور لتصاريف الزمان فيقول :

فدعْ كلَّ طاغيـة للرما ن فان الزمان يقيم الصَّعَرْ

وقد تسمعه فى نغمة المستأسد فيقول :

يا طيرُ والامثالُ تُضـ ـرَبُ للبيب الامثـلِ
دنيـاك من عاداتهـا ألاَّ تكون لاعـزل
جُعلت لحـرٍّ يُبتـلى فى ذى الحيـاة ويَبتلى
يُرمى ويَرمى فى جهـا د العيش غيرَ مغفل
مستجمعٌ كالليث إن يجهـل عليـه يجهـل

وقد نجد شوقى لايترفق بمن ينكرون قديمهم فيقول :

لا تحذُ حذوَ عصابةٍ مفتونة يجدون كل قديم شىء منكرا
ولو استطاعوا فى المجامع انكروا من مات من آبائهم او عمَّرا !!

ثم يقول من ناحية أخرى ليحضّ بشتى الاساليب على السبق الى التجديد :

قلْ للشباب زمانكم متحركٌ هل تأخذون القسط من دورانه؟

ويقول :

مصرٌ تجدّد مجدَها بفتائها المتجددات
النافرات من الجمو د كأنه شبح المماتِ!

وشوقي يجهر بلذائذ الحياة ونعيمها فيقول :

روّحوا القلبَ بلذّات الصبا فكفى الشيب مجالا للكدرْ
فصبا الخلد كثيرٌ دائم وصبا الدنيا عزيز مختصرْ

وينشد للزهادة والصدّ عن الدنيا فيقول :

ليت شعري الى مَ تقتتل النا سُ على ذى الدنيّةِ الفتانهْ
عالم قلّبٌ واحلام خلقٍ يتبارى غباوةً وفطانهْ

ويقول على قبر نابليون :

يا كثيرَ الصيد للصيد العلا قمْ! تأملْ كيف صادتك المنون !
قمْ ترَ الدنيا كما غادرتها منزل الغدر وماء الخادعين

وشوقي يمجد المال ويعلي شأنه فيقول :

بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم لم يُبن ملك على جهل واقلالِ
هاتوا الرجال وهاتوا المال واحتشدوا رأياً لرأيٍ ، ومنقالا لمنقالِ

ثم يعارض ذلك بقوله :

ولم أر مثل جمع المال داءً ولا مثلَ البخيل به مصابا
فلا تقتلك شهوتُه وزنْها كما تزن الطعامَ أو الشرابا

وقد يترنم الشاعر الكبير بجمال القوة فيقول :

ولكن على الجيش ترقى البلادُ وبالعلمِ تنشد اركانَها

وقد يغرد للسلام فيقول :

« جبريلُ » أنت هُدى السما ء وانت برهانُ العنايهْ
أبسطْ جناحيْك اللتيـــن هما الطهارةُ والهدايهْ
وزدْ « الهلال» من الكرا مةِ و« الصليبَ » من الرعايه
فهمـــا لربك راية والحرب للشيطان رايه

* * *

يتبين جلياً مما قدمنا ان نفس شوقي الشاعر كانت تتوثب الى كل ما في الوجود من متنوّع المعاني ، وكان يستفزها معنى الجمال حيث كان في أيّها ، ومهما تعددت لديها سبله فقرارها عند الجمال ومرجعها اليه .

ومثل الشاعر في ذلك مثل الفيلسوف الذي ينفسح له افق الفروض والآراء فيتسع صدره لمختلف المذاهب وهو يشخص دائماً الى الحقيقة ، وكلاهما يحيره نسق الجمال ونسق الحق ، وكلاهما يرنو للوجود من أنبل ناحيتيه أو من ناحية واحدة : من ناحية ذلك النسق الواسع الابدي الازلي ، من ناحية الله .

إذن كان شوقي يشجي من كل نغمة : يشجي اذا هو انشد للزهد ، ويشجي اذ انشد للنعومة . يشجي اذا هو تغنى للحرب ، واذا هو تغنى للسلام . يشجي اذا هو حيا الغابر ، ويشجي اذا هو حيا الحاضر .

على اننا اذا ذكرنا موجزين عدة نواحٍ من شعر شوقي يبدو فيها معنى الجمال ونزعاته الفلسفية ، فمن الحق ان نشير اشارة خاصة الى شعره الذي تبدو فيه معاني الذكريات ، تلك المعاني التي تسمى عند الفلاسفة بالزمن النفسي . ولعلي لا أسرف اذا قلت إن مايتجلى منها في شعر شوقي انما هو صفوة من الشعر الانساني يهتز له القلب لانه يفصح عن اخطر ما يضمر الزمان وعن اصفى ما يمكث من التاريخ :

قم ناج جلق وانشدْ رسمَ مَنْ بانوا ... مشتْ على الرسم احداثٌ وأزمانُ
هذا الاديم كتاب لا كفاء له ... رثّ الصحائف باق منه عنوان

* * *

مررتُ بالمسجد المحزون اسأله : ... هل في المصلى أو المحراب مروان ؟!
تغيّر المسجدُ المحزونُ واختلفت ... على المنابر أحرارٌ وعبدان
فلا الأذان أذانٌ في منارته ... اذا تعالى ، ولا الأذان آذان !

ففي ذمة الخلد انت ايها المتغنى بالجمال ! وفي ذمة الله يا شاعر الطبيعة والوصف والوجد والذكريات ! نذكرك وليت لنا مواهبك في احياء الذكرى . نذكرك ذكر من قدرك واعجب بك وتذوق ودك الجميل وكان خليقاً بأن يقابل ذلك الود بتحية صادقة . نذكرك ونحن نوقن أن ما تركت من الذخائر الأدبية الخالدة ستظل متاعاً عزيزاً وأنساً للأجيال ومفخرة من مفاخر الشرق العربي ، فعلى روحك السلام !

شاعر الكون

شاعرَ الكونِ عزَّ فيك عزائى ... كيف مثلى يفيكَ حقَّ الرثاء ؟!
انت أحرَى بأن تُؤدَّى لك الرُّو ... حُ فداءً إن صحَّ معنى الفداء
يا بنات القريضِ قد مات شوق ... قُمْنَ فاندُبْنَ نكبه الأدباء
وأطِلْنَ البكاءَ دهراً طويلاً ... ذا أوانُ النحيبِ والبُرَحاء
كم أعزَّ القريضَ إذْ حَمِلَ الرا ... يةَ فاعتزَّ جانبُ الشعراء

« • »

يا أميرَ البيانِ نظماً ونثراً ... وسرىَّ الخيالِ خلفَ المرائى
لكَ روحٌ كم حلقتْ فى عُلاها ... وصلت بيننا وبين السماء
لك وصفٌ يدقّ عن كل وصف ... دونه الرسمُ غاية فى الجلاء
ومَعَانٍ كأنها الوحىُ تولى ... لرسول من نخبة الانبياء
فى فصيحِ الالفاظ تنظم كالدرّ ... فيبدو القصيدُ جمَّ الرواء
وأناشيدُ فى المحافل سارت ... كسير الرّياح فى الأجواء
كم تغنّى بها (محمد)[1] حتى ... لقبوه بها أميرَ الغناء
وأقاصيصُ للمسارح تبقى ... أبدَ الدهر مُبْتَغَى كلّ راء
فى سبيل الخلود (شوق) وقد كنـ ... ـتَ بحق مخلد العظماء
كم نفحتَ العظيمَ منك رثاءً ... فغدا بالرثاء فى الاحياء
روحُ عيسى فى روحك الحىّ تبدو ... فتردّ الحياةَ بالإيماء !

« • »

أيها الشرقُ مات (شوق) فرجِّعْ ... نَغَمَ الحزن واحتفلْ بالبكاء
مات قلبٌ عليك فاضَ حنيناً ... فانظمْ الدمعَ آيةً للوفاء
لك يا مصرُ كلَّ يومٍ مُصابٌ ... فمتى يأذن الأسَى بانتهاء ؟
ما فرغنا من يوم (حافظ) حتى ... مات (شوق)... فيالهول القضاء!

هاشم عبد الحى

(١) محمد عبد الوهاب الموسيقار الشهير.

نبي الشعر

جلَّ الاله (أبولُّو) فى مراقيهِ ... وجلَّ من جبل (الأولمب[١]) كرْسيهِ
وقُدِّسَتْ حكمةٌ فى الشعر مرسلةً ... جاءت منظمةً كالدرِّ من فيه
له التصرفُ فى وجداننا وله ... حقُّ التصرف أنَّى شاء يُرْجيه
إن شاءَ يُطربنا غنَّى فتلْبسُنا ... روحٌ من الوجد أو روحٌ من التِّيه
أو شاءَ يُحزننا فالعُودُ فى يده ... يُبدِّلُ النَّغْمَ أو يُرخى أواخيه[٢]
فليس يلحقه عَتْبٌ على عمل ... باتت مشيئتُهُ فى الخلْق تُجريه!

* * *

بالأمس خَصَّ نبيٌّ[٣] الشعر مَرْتبةٌ ... واليومَ يَرفعُهُ عنَّا ويُعليه
قد جاءَ منْ وطنِ الالهامِ يُبْلغُنا ... رسالةَ الشِّعر فى أسمى مَعانيه
ويَمَّمَ (النيلَ) فاستوحى الحَمامُ به ... روحَ الحياة على شدوٍ يغنِّيه
وبثَّ فى الزهر أنفاساً يُردِّدُها ... عند الصباح وَحُسناً فيه ما فيه
وهبَّ للبحر يُملى ما يُردِّدُه ... وأرسَلَ الريحَ تَروى عن أواذيه[٤]
وفى جناح الدجى أرْسَى سكينَته ... وعلَّمَ الغصْنَ صوتاً فى تثنيه!

* * *

تِلكم جنودُ الهوَى تُوفى مُسَخَّرَةً ... ما كان يودِعُهُ فيها ويُوليهِ
الحبُّ باطنها، والشعر مظهرها ... والكونُ مسرحُها أو ما تناجيه!

* * *

واليومَ أكمل ما أوحى الاله به ... وتلكَ دعوتُهُ فرضٌ يؤدِّيهِ
مَن للحياةِ اذا غاضتْ يفجِّرها؟ ... مَن للشعور اذا ما مات يُحييه؟
(أبولّو) أنت الذى ولّيْتَه علَماً ... فكيف تأخذ منه ما تُوَلِّيه؟
هى الحياةُ تبدَّتْ فى دُجُنَّتِها ... وضاعَ فى الكون صوتٌ لا يؤاتيه!

الخرطوم — (كلية غوردون)

محمد عثمان محجوب

---

(١) جبل أولمبوس فى بلاد اليونان، وكان يعتقد قدماؤهم ان قنه المجللة بالسحب مسكن الالهة
(٢) اوتاره. (٣) شوقى. (٤) امواجه.

﴿ قبر فقيد الغناء والتمثيل ﴾

المرحوم الشيخ سلامه حجازى

الذى أنشأه مريدوه ، وهو مثال نبيل لما ينبغى عمله لشوقى وحافظ ولغيرهما من أعلام الفن والأدب والعلم فى مصر

احمد شوقي بك

صورة المستوحى الشارد اللبّ

امير البيانه

إحتفى التاريخُ بالسفرِ الجليلِ ... مرجعِ الآداب من جيلٍ لجيلِ
وارتقى الراحلُ شأواً خالداً ... قد بنى منزله قبل الرحيلِ ؟!
يا أميرَ الشعر هل يأسى الذى ... سامَ الأبطالَ فى المجد الأثيلِ ؟!
إنما الروعةُ فينا والأسى ... ما لنا نحو التأسّى من سبيلِ

« • »

بكت الضادُ ، فهل بارقة ... منك تهديها الى الصبر الجميل ؟
أم مضى العهدُ ودالت للبلى ... قوةٌ أوحتْ بياناً لرسولِ ؟
إنه الموت تحدّى لغةً ... فى صميم القلب بالكَلْمِ الوبيلِ
فلحاً للموت مما آدنا ... ورثاءً لبيانٍ مستحيلِ

« • »

مبدعَ القصةِ فى الشعر وما ... كان فى الفصحى لها ضوءُ فتيلِ
نهضةٌ أجدتْ علينا مسرحاً ... عربيَّ اللفظِ والروحِ النبيلِ
تزدهى الآدابُ فى باقته ... بُدِّلتْ فيها ازدهاراً بذبولِ

« • »

ذى (كلوبترا) وما أروعها ... لمحةُ الماضى وترجيعُ الهديلِ
أنصفت التاريخ فيها وامّحتْ ... لوثةُ الذام وارجافُ الدخيلِ
قد تلالا فى سناها أفقٌ ... زاهرُ المجدِ على العهد الطويلِ
صورةٌ من مصر فى نشوتها ... تبعث الأيامَ من وادٍ ظليلِ
شاهداها الشمسُ والنيلُ ، وما ... أصدق الأشهاد من شمسٍ ونيلِ
زهتْ الأولى على عرش (منا) ... وجرى الثانى بماءٍ سلسبيلِ
تجدُ العزةَ فيها والهوى ... والجنانَ الثَّبْتَ فى الخطبِ المهيلِ
وترى الملكةَ فيها لبأةً ... تفتدى الوادى بايثارِ الأفولِ
(الحياة الحبُّ) من ألحانها ... مُتعةُ النفسِ وتأساءُ الخليلِ

وذِهِ (مجنونُ) ليلى أثرَ ... من حياةِ البدوِ مقطوعِ المثيلِ
رام (قيس) قرب (ليلى) ومضى ... فى فناءٍ من هواها وذهولِ
يتلقّى الوحيَ عن شيطانه ... فيجيدُ الوصفَ فى الشعر الذلولِ
يذكر (الغيلَ) وما أمتعه ... من لقاءٍ ورجاءٍ يوم (غيلِ)
يملأ البيدَ بها مقتحماً ... عادة القومِ ومرعىّ الأصولِ
وهى تجزيه عن الحبّ هوى ... حازمَ العطفِ رحيباً بالعليلِ
لكنْ العرفُ وما أنتجه ... عبثُ المجنون من قالٍ وقيلِ
منعاها قربَ (قيسٍ) وقضت ... فى هواه وقضى بعد قليلِ
قطعةٌ رائعةٌ فى فنّها ... صورةُ البيد وعاداتُ القبيلِ
قد تلتها درةٌ منضودةٌ ... كنتَ فى إبداعها خيرَ كفيلِ

« • »

والأغانىُّ التى هذّبتَها ... برقيق اللفظ والمعنى الجزيلِ
عَزْفُ موسيقى وسحرٌ عجبٌ ... وسموٌّ بقلوبٍ وعقولِ
يسلك (الليلُ) بها سيرته ... بين شدو الطير أو بين العويلِ
ها هنا شجوٌ وفى الدوح أسًى ... وهناك الوجد فى القلب الكليلِ
وعيونٌ ساهداتٌ فى الهوى ... وعيونٌ ساهياتٌ فى سدولِ
يلمحُ الفجر على هدأتها ... كبياضٍ لاح من طرف كحيلِ
فتوارى لوعة الليل الى ... أن توارى الشمس فى اليوم النزيلِ

« • »

وترى (البلبلَ حيرانَ) به ... شغفُ المفتونِ بالورد البليلِ
أسكرته منه أنفاسُ الرضا ... وسبتهُ حمرةُ الخدّ الأسيلِ
يلعب الليلُ به من فَنَنٍ ... ناعس الطرف إلى فرع نحيلِ
مال نحو الورد لما نَبَّهَهُ ... وخزُ شوكٍ أو جراحاتُ نصولِ
هام بالقرب فغنّى طرباً ... ثم ذاق الحتفَ فى دمع الذليلِ

« • »

خطواتٌ خالداتٌ قد نضتْ ... عن نواحى الفكرِ أثوابَ الخمولِ

وفنونٌ صعد الشعرُ بها وأصابتْ منكَ إدواءَ الغليلِ

« • »

تلك (شوقى) قلةٌ من كثرةٍ وضئيلٌ عُدَّ من ارثٍ جليلِ
ثروةٌ حافلةٌ أودعتَها حكمةَ الدهر واصحاحَ النقولِ
انتقيتَ الدرَّ فى جوهرها وخلقتَ النّبت فى الأرض المحولِ
فاسترحْ فى جنةٍ راضيةٍ بجوارِ الحقِّ مكفولَ القبولِ

محمد فريد عبد القادر

عرش يتهدم

ثُلَّ عرشُ القريض من أركانهْ وتخلى كسراه عن إيوانهْ
وطوى الموتُ دولةً من بيانٍ لم يشدها الرشيدُ فى بغدانه
أيها الموت ! مَن نعيتَ ؟ رويداً ! كاد قلبى يكفّ عن خفقانه !
حين قالوا : قضى أميرُ القوافى حل يوم الحساب قبل أوانه !
لا روى النيل بعد شوقى حزيناً قلبه لا يسيل من أجفانه !

« • »

فُجِعَ الشعر بعده فى ابن حجرٍ وأصيب البيان فى سحبانهْ
لا لعمرى ، مابات ينصف شوقى من يرى السابقين من أقرانه
إن شوقى عنوان خير زمان فاستبينوا الكتابَ من عنوانه
ما ونى فى خطاه بل سار يقفو عصرَه وهو آخذٌ بعنانه
وكذا الشاعر الأريب تراه صورةً حيةً لأهل زمانه

« • »

أمَ الشرق أرهفت أذنيها تستعيد الغناء من كروانه
قلْ لهم : قد رماه سهمُ المنايا وهو يشدو فمال عن غصن بانه
بعد أن جاب شعرُه كلَّ أفق وسرى كالنسيم فى سريانه
ربَّ ركبٍ حدا به ، ربَّ خدر دار فيه على لسان حسانه

محمود غنيم

ربَّ تلميذ قد أكبَّ عليه مثل اكبابه على قرآنه
هو نجوى الحلىّ إذ يتغنى وهو سلوى الحزين فى أحزانه
هو ينبوع تستقى الوعظ منه مثلما تستقيه من لقمانه

« • »

جاء شوقى فوجَّه الشعر أنى شاء كالفلكِ فى يدىْ ربانه
فكأنّ القريض كان عييّاً وهو قد حلّ عقدةً من لسانه
ربَّ حاكٍ أمدَّه بأغانٍ هى مثل النمير فى جريانه
كلما مرَّت الشباة عليها حنّ قلبى فذاب فى تحنانه
فكأن الفؤاد إذ ذاك طير ذو جناحين ضل عن أغصانه
أتراه أقام فى كل قلب فرأى ما استكنَّ من أشجانه ؟!
كم زمانٍ أعاده بعد طىٍّ فكأنى أعيش فى ابّانه

لكأنّى بخيل قيس جاءت فأذلّتْ فرعونَ فى طغيانهْ
وبقيسٍ أمسى يهيم بليلى مع وحش الفلاة فى قيعانه
وكأنى بقيصر الروم صبّاً لاهياً بالعرام عن سلطانه
وكأنى أرى المماليك حولى وفتى عبس فوق ظهر حصانه !

« • »

يامحيطاً طغى على واصفيه فانثنوا غارقين فى طوفانهْ
قسماً ما توغلوا فيه لكن هو بحرٌ مشوا على شطآنه !
مثلوا ساحليه للناس لكنْ لم يغوصوا على يتيم جمانه
ليت شيطانه أفاض عليهم بعض إعجازه وسحر بيانه
فلقد كان حين يرثى دفيناً كاد يسرى الصدى الى آذانه !
ربّ نجمٍ هوى فلما رثاه عاد من فوره الى دورانه !
فكأنّ المسيح ينفخ فيه فتعود الحياة فى جثمانه !
قد تحدّى المصورين بما لم يستطعه مصوّرٌ ببنانه
ببيان يصوّر الصمتَ والصو تَ وضوء الشهاب فى لمعانه
ويراع لو كان فى عهد موسى خاف من سحره على ثعبانه !
وخيال الى عطارد يسمو فيقصّ الأخبار عن سكانه
ويجوب المحيط شرقاً وغرباً ثم يروى للناس عن حيتانه
ويزيح الستار عن كل صدر فيرى ما انطوى على كتمانه
شاعر لم يقف بباب أمير آملاً أن يصيب من إحسانه
لايقول القريضَ زلفى، ولكنْ هو فنٌ يُوحَى الى فنانه
لا رعى الله من يتاجر بالشعـ ـر ويرضى بالبخس من أثمانه
إنّ حرص الفتى على فنه من بعض حرص الفتى على إيمانه !

« • »

مات شوقى فى سبيل المعالى مهجةٌ قد أسالها فى بيانهْ
ليس شعراً ما ليس ينحته الشا عرُ نحتاً من قلبه وجَنانه
كلُّ بيت لشاعر قطرة من دمه قد تدفقت من لسانه
مات شوقي وخلدته القوافى فأطلّوا عليه من ديوانه !

محمود غنيم

القصيدة المختارة

أحقّاً رمى الموتُ فى مصرَ (شوقى) فروّعَ من موته كلَّ شرقى ؟
لقد حُرِمَ الشعرُ قريضه فأظلم من نوره كلُّ أفق
فمن مُبْلِغُ الشمسَ أن ضحاها يُرى فى سواد الثرى ملقّ شقّ ؟
ومن مبلِغُ الزهرَ أن سناها عرتْهُ يد الموت رهناً بحقّ ؟
إذا لَبَدَتْ فى غد قطعة من الليل توفى عليها بحقّ
لقد كان (شوقى) يصوغ ضياها ويخلِى به كل وجه وعنق
وينسج أبراده من سناها تضىء على لابسٍ مستحقّ
وكم شاد (شوقى) عن الطير شعراً رعن مزهر ومثانٍ و «رقّ»
وكم صاغ شوقى من الزهر نظماً يهبّ أريجاً على كل أفق
يرى فى الطبيعة وجهَ جمالٍ فيذكى على حسنه قلب عشق
وينظر فى الكون منظرَ حُكم فيُخرج من صمتها آىَ نطق
ويبحث فى مصر عما اجتلاها وعما ابتلاها ، فينمى ، ويُنتى
فأما عن الخُلق فهو رسولٌ إلى الخُلْق يصلحه أو يُرقّى
فكم صاح فى مصر (شوقى) ونادى بأنّ علاها على ركن خُلْق
وحثّ على العلم فهو سراجٌ وقاد إليه الشباب بحِذق
وأحيا لشبّانها نهضةً وربى عليها الطباعَ برفق
وغذّى على الشعر ألبابَهم فكانوا لنهضتها لُسْنَ صدق
فإن ذُكِرَ الشعرُ ألفيت (شوقى) أميرَ القوافى جديراً بسَبْق
فكم للأمير فرائدُ عينٌ تفيض بحكم وفنٍّ وذوق
تقصُّ حياة الأواخر شعراً وتحكى سطور الأوالى بنَسْق
يشاطر (هوميرَ) نظمَ الحياة فهذا بشقٍّ وذاك بشقّ
صدًى لفم الدهر فى الشرق ينعى ويقضى فيُفنى ، ويُطرى فيبقى
فرائدُ لمّا يسعنى سوى أن أشير إليها ، وذلك طوق
لعمرك ما إن وفيتُ بشىء فلم يوفِ (شوقى) سوى شعر (شوقى)!

فرحات عبد الخالق

الشعر الفنى
فى نظم شوقى بك

يقول الفاضل على محمد البحراوى سكرتير (جماعة الأدب المصرى) فى مقاله هذا المنشور فى العدد الخاص من « أبولو » صفحة ٣٩٨ : « وأذكر أن صديقاً من الأدباء الممتازين كان واضح الاعجاب بالمعنى الذى تضمنه البيت الآتى الذى نظمه شوقى على لسان قيس فى رواية مجنون ليلى :

لَيْلَىَ ، منادٍ دعا ليلى نخفَّ له ... نشوانُ فى جنباتِ الصدر عربيدُ !

وكان الصديق يلقى البيت إلقاءً بديعاً فذكره لشوقى وسأله عن ظروف نظم هذا المعنى الرائع . فاهتزّ شوقى للبيت لدى سماعه اهتزازنا له وغاص فى لجّةٍ من التفكير أذهله عن سؤال الصديق لحظةً . فلمّا انتبه وذكر السؤال بادر الى الجواب ولم يكن إلا كلمة واحدة : لا أدرى ! » قال الكاتب : « وهذا حقٌّ ، فان شوقى لم يكن يدرى كيف هبط هذا المعنى عليه ، فهو وحى العبقرية ! »

ثم أشار الكاتب الى مقالى الذى نشره « المقتطف » عن شوقى رحمه الله وزعم أنى وُفِّقتُ فى هذا المقال الى حدٍّ لم يكن يُنتظر من أحد شعراء المدرسة القديمة... قال : « ولكن ثمة مسألة جديرة بالبحث : تلك هى اعجابه ببراعة شوقى فى استخراج المعانى وتوليدها من معانى غيره من الشعراء المتقدمين أو أخذه على شوقى عدم توفيقه الى ذلك » . ثم تفضل علينا حضرته بثناء عظيم هو أن نصيبنا من الروح الفنّية محدودٌ فى رأى حضرته ، وكان يستطيع أن يقول إنه لا نصيب لنا من هذه الروح . ثم زعم ان الشعر الفنّى لا يجرى عليه ما يجرى على سائر المنظوم من أقيسة التوليد والاستخراج ، الخ .

وكأن الكاتب يذهب الى مناقضتنا ويحتج ببيت شوقى الذى هبط عليه وحى العبقرية ، لأن هذا الوحى فى رأيه يجعل المواقف متشابهة فى الحياة . وأظنه لو سئل مثلاً على ذلك لقال : كما يتشابه الناسُ فى الأكل والمضغ بأسنانهم وأضراسهم الطبيعية أو الصناعية ... فلا يقال إن أحداً قلّد أحداً فى ذلك !

ولكن ماذا يرى الكاتب إذا قلتُ له إن شوقى لم يصدق فى قوله : « لا أدرى ! »

وإن الكاتب نفسه لم يصدق فى قوله : « وهذا حق فان شوقى لم يكن يدرى الخ...»؟

ان شوقى كان يدرى نخدع سائله ، وانك أنت لم تدر نخدعت قراءك ، لأن ذلك المعنى الذى تقول إنه رائع وانه وحى العبقرية وهو قول شوقى :

لَيْلَىَ ، منادٍ دما ليلى نخفّ له نشوانُ فى جنباتِ الصدر عربيدُ!

هو بعينه قول المجنون :

دما باسم ليلى غيرَها فكأنما أطار بليلى طائراً كان فى صَدرِى !

وبيت المجنون أشد امتلاءً بالحسن وأبدع تصويراً للمعنى وأسلم فى عباراته من التكلف وأبعد عن التلفيق الذى يجعل القلب نشوان عربيداً كأنه ليس فى أضلاع صاحبه بل فى حانة بولانا كى ...!

وفى بيت شوقى غلطة نحوية يجب أن لا تخفى على أىّ أديب ما؟

مصطفى صادق الرافعى

* * *

(سننشر مختارات أخرى من المرائى والدراسات فى العدد الآتى)